

روح المعاني

لا يحسن هنا فلا بد من التقدير إما في جانب الصفة أي أجعلتم أهل السقاية والعمارة كمن آمن ويؤيده قراءة محمد بن علي الباقر رضي الله تعالى عنه وابن الزبير وأبي جعفر وأبي وجزة السعدي وهو من القراء وإن اشتهر بالشعر أجعلتم سقاة الحاج بضم السين جمع ساق وعمرة المسجد بفتحين جمع عامر وكذا قراءة الضحاك سقاية بالضم أيضا مع الياء والتاء وعمرة كما في القراءة السابقة ووجه سقاية فيها أن يكون جمعا جاء على فعال ثم أنت كما أنت من الجموع نحو حجارة فإن في كلا القراءتين تشبيه ذات بذات وإما في جانب الذات أي أجعلتموهما كإيمان من آمن وجهاد من جاهد وقيل : لا حاجة إلى التقدير في شيء وإنما المصدر بمعنى اسم الفاعل والمعنى عليه كما في الأول وأيا ما كان فالخطاب إما للمشركين على طريقة الإلتفات واختاره أكثر المحققين وهو المتبادر من النظم وتخصيص ذكر الإيمان في جانب المشبه به واستدل له بما أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المشركين قالوا : عمارة بيت الله تعالى والقيام على السقاية خير من الإيمان والجهاد فذكر الله تعالى خير الإيمان به سبحانه والجهاد مع نبيه صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية وبما أخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن الضحاك قال : أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس : أما والله لقد كنا نعمل المسجد الحرام ونفك العاني ونحج البيت ونسقي الحاج فأنزل الله تعالى أجعلتم الآية وهذا ظاهر في أن الخطاب لهم وهم مشركون .

وإما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة على الهجرة والجهاد واستدل له بما أخرجه مسلم وأبو داود وابن جرير وابن المنذر وجماعة عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال : كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال رجل منهم : ما أبالي أن لا أعمل عملا لله تعالى بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج وقال آخر : بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر : بل الجهاد في سبيل الله تعالى خير مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله تعالى عنه وقال : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيه فيما اختلفتم فيه فأنزل الله تعالى الآية إلى قوله سبحانه : والله لا يهدي القوم الظالمين وبما روي من طرق أن الآية نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه والعباس وذلك أن الأمير كرم الله تعالى وجهه قال له : يا عم لو هاجرت إلى المدينة فقال له : أولست في أفضل من الهجرة وألست أسقي الحاج وأعمل البيت وهذا ظاهر في أن العباس رضي الله تعالى عنه كان

إذ ذاك مسلماً على خلاف ما يقتضيه غيره من الأخبار المتقدم بعضها وأيد هذا القول بأنه المناسب للإكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله تعالى للفريق الثاني وبيان أعظمية درجتهم عند الله تعالى الظاهر دخوله في الرد على وجه يشعر بعدم حرمان الأولين بالكلية لمكان أفعال التفضيل وجعل المشتغل على ذلك استطراداً لتفضيل من اتصف بتلك الصفات على غيره من المسلمين خلاف الظاهر وكذا القول بأنه سيق لتفضيلهم على أهل السقاية والعمارة من الكفرة وهم وإن لم يكن لهم درجة عند الله تعالى جاء على زعمهم ومدعاهم على أنه قيل عليه : إنه ليس فيه كثير نفع لأنه إن لم يشعر بعدم الحرمان فليس بمشعر بالحرمان والكلام على الأول توبيخ للمشركين ومداره إنكار تشبيه أنفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالإيمان والجهاد أو على